مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

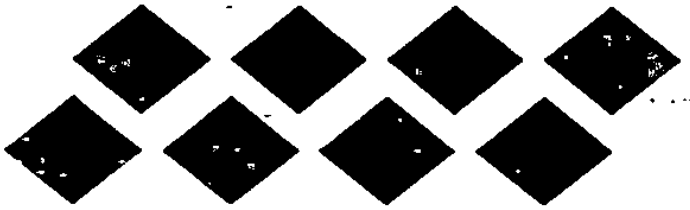

إصلاح وتصحيح الكتب عند علماء المسلمين

د. ياسر رجب على سليمان

تمهيـــــــد :

يعد إصلاح وتصحيح الكتب أحد المهام العلمية والفكرية التي كان يقـوم بهـا علمـاء المسلمين تجاه بعض الكتب والمؤلفات بغرض تنقيح وتصحيح ما بها من أخطاء حـدثت عمداً أو سهواً ، حتى تصل إلى أيدي الناس صحيحة ودقيقة ، إذ أن الخطأ أمـر مـلازم لطبيعة البشر طالما لم يُكتب لها الكمال ، ومهما بذل المؤلف من جهد في ضبط كتابه فإنه قد يخرج للناس وبه أخطاء ، وقد وجد إصلاح وتصحيح الكتب اهتماماً كبيراً لدى علمـاء المسلمين حتى عدوه ضرباً من ضروب التأليف ، وكان الحذر كـل الحـذر أن يتـصدى لإصلاح وتصحيح الأخطاء الواردة بالكتب إلا من كان ثقة وأهلاً لذلك ولديه من الخبرة ما يكفل له النهوض به .

أولاً : إشكالية الدراسة :

إذا كان تصنيف وتأليف الكتب أمراً صعباً فإن إصلاح ما بها من أخطاء يُعد أمراً بـالغ الصعوبة ، وكان الاهتمام المستمر بإصلاح وتصحيح الكتب عند المسلمين لأنهـا تكـشف عن أخطاء وقع فيها من قام على تأليفها وتصنيفها ، سواء كانت هذه الأخطـاء شـكلية بسبب تعدد نُسخ ورواية الكتاب الواحد في أكثر من مكان وزمـان ، أو أخطـاء تتعلـق بالمحتوى الفكري والعلمي ، ولأن عمليات إصلاح وتصحيح الكتب عند علماء المـسلمين كانت تقف جنباً إلى جنب مع الكتب المؤلفة في كل فن وعلم ، فضلاً عـن دورهـا فـي عرض العلوم والمعارف بشكل صحيح ودقيق عبر العصور ، إلى جانـب بنـاء مجتمـع معرفي يقوم على ركائز وأسس علمية سليمة .

وقد لاحظ الباحث قلة وندرة الدراسات التي تعنى بـشأن إصـلاح وتـصحيح الكتـب والمؤلفات عند علماء المسلمين ، بالرغم من أهميتها فـي تـاريخ الحـضارة العربيـة الإسلامية، وعليه كان التفكير وبجدية في سد هذه الثغرة من خلال إعداد هذه الدراسة .

ثانياً : أهداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف ويأتي في مقدمتها :

١- التعرف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة الإصلاح والتصحيح .

٢- بيان مدى مشقة إصلاح وتصحيح الكتب عند المسلمين .

٣- بيان أن إصلاح وتصحيح الكتب كان أحد ضروب التأليف لدى علماء المسلمين .

٤- التعرف على مدى انتشار إصلاح وتصحيح الكتب لدى علماء المسلمين .

٥- تحديد مدى علاقة ارتباط الإصلاح والتصحيح بالعرض والمعارضة .

٦- التعرف على أسباب حدوث الأخطاء في الكتب عند المسلمين .

٧- بيان طرق إصلاح وتصحيح المؤلفات لدى علماء المسلمين .

ثالثاً : تساؤلات الدراسة :

من خلال تحديد أهداف هذه الدراسة ، يمكن للباحث أن يُحدد المعالم الأساسية للتساؤلات التي تُجيب عنها الدراسة وهى :

١- ما المقصود بإصلاح وتصحيح الكتب ؟

٢- ما مدى مشقة إصلاح وتصحيح الكتب عند المسلمين ؟

٣- هل اعتبر علماء المسلمين إصلاح وتصحيح الكتب من ضروب التأليف ؟

٤- ما مدى انتشار إصلاح وتصحيح الكتب لدى علماء المسلمين ؟

٥- هل ثمة علاقة لإصلاح وتصحيح الكتب بالعرض والمعارضة ؟

٦- ما أسباب حدوث الأخطاء في الكتب عند المسلمين ؟

٧- ما طرق إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات لدى العلماء والمؤلفين المسلمين ؟

رابعاً : أهمية الدراسة :

ترجع أهمية الدراسة إلى عدة أسباب يمكن بيان أهمها من خلال عنصرين أساسيين هما:

١- أن إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات لقي عناية كبيرة من جانب العلماء والمؤلفين المسلمين حتى تخرج المؤلفات لطلاب العلم والدارسين في أفضل وجه ممكن ، سواء

فيما يتعلق بأمور الضبط والشكل أو المحتوى والمضمون العلمي ، فضلاً عن أن إصلاح وتصحيح الكتب كان له دور أساسي في الحياة العلمية والتعليمية والثقافية .

٢- أن موضوع إصلاح وتصحيح الكتب لم يحظ بالاهتمام المطلوب من حيث الدراسات البحثية المستقلة والمنفردة ، لذا كان الاهتمام بدراسته وتحديد طبيعته ومعالمه وأهميته ومبرراته ، بالإضافة إلى تحديد الطرق المتبعة والسائدة في إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات لدى علماء المسلمين .

خامساً : منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الببليوجرافي ، لأن الباحث اعتمد الإنتاج الفكري ذاته كأداة لجمع البيانات والحقائق المطلوبة فضلاً عن تحليل محتوى بعض الكتب والمؤلفات لبيان طرق إصلاح وتصحيح الكتب عند علماء المسلمين .

سادساً : مجال الدراسة وحدودها :

١- الحدود الموضوعية :

تركز الدراسة على ظاهرة إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات عند العلماء والمؤلفين المسلمين ، دون النظر إلى العلوم والفنون التي خضعت لإصلاح وتصحيح الكتب فيها .

٢- الحدود الزمنية :

تهتم الدراسة بظاهرة إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات عند العلماء والمؤلفين المسلمين انطلاقاً من عصر الخطاطة ومروراً بعصر الطباعة .

٣- الحدود المكانية :

تتناول الدراسة إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات عند علماء المسلمين في شتى ربوع العالم الإسلامي ، سواء في بلاد المشرق أو المغرب أو بلاد الأندلس ، وذلك بغرض الخروج بصورة شاملة تغطى كافة جوانب الدراسة .

سابعاً : الدراسات السابقة :

قليلة ونادرة هي الدراسات السابقة التي تناولت إصلاح وتصحيح الكتب والمؤلفات عند علماء المسلمين خلال عصور الحضارة العربية الإسلامية ، فهي إما عبارة عن فقرات

في بعض المؤلفات أو عدد محدود من الصفحات في بعض الكتب ... الخ ، ولم يحظ إصلاح وتصحيح الكتب عند علماء المسلمين بدراسة منفردة ومستقلة ، وإن كانت ثمة دراسة واحدة من الدراسات المثيلة وهى :

١- دراسة الشيخ المحدث أحمد شاكر (١٩٩٢ م) بعنوان "تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك "[١] و تناولت الدراسة صعوبات تصحيح الكتب وضرورة معارضة الكتاب وسوء التصحيح من جانب بعض المُصححين ، كما تناولت هذه الدراسة تراجم موجزة لبعض العلماء المصححين وعناية المستشرقين بالتصحيح وعرضت لمقدمة ابن الصلاح ، وكتاب " الترقيم وعلاماته في اللغة العربية " لأحمد زكى باشا ، كما ركزت الدراسة على الفهارس المعجمة وتحديد مدى السبق لعلماء المسلمين في هذا المجال .

ويبدو من عرض الدراسة السابقة أن ثمة خيوط التقاء محدودة للغاية وأن خيوط الاختلاف عديدة ومتنوعة بينها وبين الدراسة الحالية ، سواء ما يتعلق بالهدف العام للدراسة الحالية والمنهج المتبع والمجال الموضوعي والبنية الأساسية لها ، وعليه سعى الباحث لأن تكون هذه الدراسة إضافة في المجال .

تقديـــــم :

أدرك علماء المسلمين ما يعتريهم من نقـص وقـصور أثنـاء تـأليف كتـبهم ومؤلفاتهم ، وقد يُراجع المؤلف كتابه بعد خروجه للناس ويصحح ما يعتريه من أخطـاء في حينه ، وربما لم يتمكن من إصلاحه وتركه دهراً طويلاً فيكون من الضروى إصـلاح كتابه وتصحيحه لأنه أضحى " مُتقادم الميلاد دَهري الصنعة "(٢) ، فـبعض الكتـب قـد حظيت باهتمام كبير بين العلماء وطلاب العلم وعُقدت لأجلها المجالس والندوات ، ولكـن كلما تعاقبت عليها السنين بدت مساؤها وعيوبها ، فكان ذلك أدعى إلى مراجعتها وإعـادة النظر فيما تتضمنه من علوم ومعارف حتى يتبين مدى حاجتها إلى الإصلاح والتصحيح ، لضمان بقاء المؤلفات صحيحة وسليمة يتناولها العلماء وطلاب العلم والدارسين بكل أمان واطمئنان .

أولاً : المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإصلاح والتصحيح :

ذكر ابن منظور أن " الصلاح ضد الفساد ، صلح يصلَح يصلُح ، والإصلاح نقيض الفساد وأصلح الشيء بعد فساده : أقامه (٣) ، ولم يختلف عـن المعنـى الـذي ذكـره الفيروز أبادي حيث نص على أن " أصلحه ضد أفسده ، وإليه أحسن .(٤) أمـا المعجـم الوسيط فذكر أن " أصلح في عمله أو أمره بما هو صالح نافع ، وأصـلح الـشيء : أزال فساده .(٥)

قد يُقصد بكلمة إصلاح وتصحيح الكتب " التحرير " لأن تحريـر الكتـب يعنـي إصلاح الكتب وتجويدها ، وحرر الكتاب يعنى : أصلحه وجود خطه (٦) ، وقد ذكر صاحب خلاصة الأثر أنه لما اطلع علي كتاب سلافه العصر في شعراء أهل العصر وتاريخ الـشيخ مدين المصري لم يكتف بالجمع بل أضاف " إلي تلك الأخبار ، المواليد والوفيات حـسبما حررته من التعاليق التي هي بهذا الغرض وافيات ".(٧) فعَد هذا التحرير من بـين أمـور التصحيح والإصلاح التي أراد لها أن تُوجد فيمن أرخ لحياتهم وترجم لهـم مـن أعيـان القرن الحادي عشر .

أما الشخص الذي يتولي مهمة إصلاح وتـصحيح الكتـب فإنـه يُعـرف بالمـصحح (Reviser) وهو عادة مصطلح يطلق علي " من يقوم بمراجعة وتصحيح عمل شـخص آخر أقل منه كفاءة عادة ".(٨)

أما مصطلح إصلاح وتصحيح الكتب من وجهة نظر العلماء والمتخصصين في مجال المكتبات فإنه يعني " مراجعة المادة العلمية وتصحيح ما بها من أخطاء سواء في المعلومات والبيانات أو في الأسلوب وقواعد اللغة ، وعادة ما يكون المُصحح أعلي مرتبة من المؤلف أو الناقل وأكثر رسوخاً في العلم ، ورغم شيوع الإصلاح في الكتب العادية إلا أنه أكثر شيوعاً في الكتب المنقولة علي وجه الخصوص ".(٩)

ثانياً : مشقة إصلاح وتصحيح الكتب عند المسلمين :

تبدو الكتب والمؤلفات في بداية ظهورها مشرقة ومضيئة ، وبعد مرور فترة وبعد تدقيق النظر فيها وتحليل محتوياتها وفحصها فحصاً جيداً يتضح وجود بعض الشوائب في مواضع بعينها ، أو وجود خلل أو سهو أو خطأ حدث نتيجة إهمال أو غفلة من المؤلف ذاته أو من جانب الناسخ ، وأياً كان السبب فقد حرص علماء المسلمين على تنقيح ومقابلة وتصحيح الكتب ، إذ كان من الشائع عندهم أنه " لا يُضيء كتاب حتى يُظلِم ، يريد إصلاحه "(١٠) ، ولم يجدوا غضاضة في أن يعترفوا بتقصيرهم في التأليف والتصنيف ، وعدم ادعاء الكمال لها ، فأحدهم يعترف بذلك قائلاً " ألفت هذه الكتب ولم آل فيها ولابد أن يوجد فيها الخطأ (١١) لأن الله تعالي يقول { ولَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا }(*) ، وقد اعتاد كثير من علماء المسلمين على ذكر ذلك في مقدمات كتبهم ، كما كان الواحد منهم يُقر بأنه اجتهد قدر طاقته في البحث والجمع والترتيب والتنظيم ليخرج كتابه في أفضل حال ، كما يقدم الاعتذار عما قد يوجد في كتابه من نقص أو سهو تقصير .(١٢)

أقر علماء المسلمين بإصلاح وتصحيح الكتب ، وأضحى أمراً معتاداً ومعهوداً لديهم ، لكن ذلك لم يمنع بعضهم من الغضب إذا حاول شخص أن يُغير أي شيء في كتابه حتى ولو كان ذلك بغرض تصحيحه وإصلاحه أو اختصاره .... الخ بل وصل إلى حد الدعاء على من يقترب من ذلك " فمن حرف شيئاً من معناه أو أزال ركناً من مبناه أو طمس واضحة من معالمه أو لبس شاهدة من تراجمه أو غيَّره أو بدله أو اختصره ... فوافاه من غضب الله ووقوع نقمه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره و يحار له فكره ، وجعله الله مثله للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين ... ولم يكتف بهذا التخويف في مقدمة كتابه بل جعله في ختامه ظناً منه أن ذلك سيكون " رادعاً لمن ميله هوى ، أو

غلبه شقاء ، فليراقب أمر ربه ، وليحاذر سوء منقلبه ، فالمدة يسيرة ، والمسافة قصيرة"[١٣] ولم يفطن إلى أن المؤلف لا يمكن أن يضمن لكتابه الحصانة المطلقة ، فالكتب تنتشر في كل مكان وزمان ، تتلقفها أيادي العلماء والنقاد من أهل الخبرة والصنعة بالتحليل والنقد وإصلاح وتصحيح ما بها من خلل وأخطاء .

قد يكون كشف الخطأ سهلاً في بعض الأحيان لكن إثبات الصواب مكانه يحتاج إلى التوثيق والأدلة والشواهد وخاصة مع وجود احتمالات متعددة للخطأ ؛ موزعة بين الناسخ والراوي والمؤلف [١٤] ، فالإصلاح والتصحيح عملية شاقة ومرهقة وأكثر تبعة لما تتطلبه من قدرات ومهارات قلما تتوافر في كثير من المؤلفين والعلماء . ويجب علي المؤلف أو الكاتب الذي يتصدى لهذا الأمر أن يكون علي دراية تامة بتبعاتها إذ أن " إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني : أيسر عليه من إتمام ذلك النقص ، حتى يرده إلي موضعه من أمثلة الكلام ، فكيف يطيق ذلك المعارض المستأجر ، والحكيم نفسه قد أعجزه هذا الباب ، وأعجب من ذلك أن يأخذ أمرين : قد أصلح الفاسد وزاد الصالح صلاحاً "[١٥] ولكي يتحقق له ذلك كان عليه أن يضع نُصب أعينه علي مواطن الخطأ والزلل ومواطن الصحة في الكتاب ويميز بينهما ، ليتمكن أداء مهمته في الإصلاح والتصحيح على الوجه المطلوب .

ويبدو أن إصلاح وتصحيح الكتب كان أمراً صعباً وخطيراً لدرجة جعلت بعض المؤلفين والمؤرخين مضطراً إلي نقل المعلومات والأخبار المدونة بمؤلفات السابقين كما هي دون أن يُصحح ما بها من أخطاء مثلما ذكر صاحب " معجم البلدان " أن بعض المعلومات التي يَشك فيها وإن كانت باطلة فلها في الحق شرك ونصيب ... ثم علل ذلك بقوله " لأنني نقلتها كما وجدتها "[١٦]

وحرص بعض علماء المسلمين على أن لا يُلقوا بالتبعة علي أنفسهم في وجود الأخطاء أو في نقلهم معلومات وبيانات خاطئة لم يتم تصحيحها من قبل لأن المسئولية الأولي – من وجهة نظرهم – تقع علي عاتق من نقلوا عنهم ، وليس لهم دور في ذلك سوى النقل ، كما قال ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ " إن بعض من يقرأ الكتاب قد يجد عند بعض الماضيين ما يستنكره ، ويعلل ذلك بأن هذه الأخطاء لم تأتى منه ، وإنما من قِبل من نقل عنهم ، وأنه نقله علي النحو الذي وصل إليه دون تعديل أو تغيير.[١٧]

ثالثاً : الإصلاح والتصحيح كأحد دروب التأليف :

تعددت وتنوعت ضروب التأليف عند علماء المسلمين ، ويعد إصلاح وتصحيح الكتب ضرباً منها باعتباره أحد الركائز الأساسية في شتى فروع العلوم ، كما عَده بعض العلماء نوعاً من أنواع التجديد ، إذ أن الابتكار والتجديد لم يكن دوماً يعني السبق والإتيان بالجديد الذي لم يكن موجوداً قبل ذلك ، وإنما كان يعني التجديد فيما كان موجوداً وشَكله أو حتى صياغته بشكل أفضل " (١٨) مما كان عليه لينتفع به أكبر عدد ممكن من طلاب العلم والدارسين .

حصر علماء المسلمين التأليف في سبعة مقاصد ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها ، وهى : الاستنباط ، التفسير ، إصلاح وتصحيح الخطأ ، إتمام النقص ، الترتيب والتنظيم ، الجمع ، التلخيص والاختصار .(١٩) ، ولم تختلف أقسام التأليف عند حاجى خليفة المتوفى سنة ١٠٦٨هـ كثيراً عما سبقه من العلماء ، حيث رأى أن أقسام التأليف سبعة ، لا يؤلف عاقل إلا فيها وهي : (٢٠)

١- شيء لم يسبق إليه فيخترعه .

٢- شيء ناقص يُتممه .

٣- شيء مُغلق يشرحه .

٤- شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه .

٥- شيء مُتفرق يجمعه .

٦- شيء مُختلط يرتبه .

٧- شيء أخطأ فيه مصنفه فيُصلحَه .

من خلال دراسة وتحليل أقسام التأليف عند حاجى خليفة يتضح أنها تسير علي النحو التالي :

القسم الأول : السبق والاختراع .

القسم الثاني : التتمة أو التكملة .

القسم الثالث : الشرح والتفسير .

القسم الرابع : الاختصار .

القسم الخامس : الجمع .

القسم السادس : الترتيب والتنظيم .

القسم السابع : الإصلاح والتصحيح .

ولم يعتبر علماء المسلمين وحدهم أن إصلاح وتصحيح الكتب أحد أقسام التأليف بل كان الكُتَّاب والمؤلفون في الغرب يؤكدون علي أنه نوع هام من أنواع التأليف ، فأحد الكتاب الفرنسيين – خلال القرن السادس عشر الميلادي – ويدعى جان بودان " Jean Bodin " رأى أن أنواع الكتابة والتأليف ثلاثة ، وهي : (٢١)

١- اكتشاف الأشياء وجمع المواد .

٢- ترتيب المعلومات وتنظيمها بلغة رفيعة .

٣- تصليح الأخطاء الواردة في الكتب القديمة .

وتدور الأنواع الثلاثة السابقة في ذلك السبق والاختراع والجمع وكذلك الترتيب والتنظيم بالإضافة إلي إصلاح وتصحيح مؤلفات وكتب السابقين .

ويمكن القول أنه مهما تنوعت وتعددت أقسام وضروب الكتابة والتأليف فانه من الضروري أن يكون إصلاح وتصحيح الكتب من بينها ، ولم يكن ذلك موجوداً خلال الحضارة العربية الإسلامية فحسب بل كان من الثوابت إبان الحضارات الأخرى أيضاً ، علي اعتبار أن إصلاح وتصحيح الكتب هو السبيل الوحيد لتجويد وضبط البيانات والمعلومات التي وردت في كتب ومؤلفات السابقين .

رابعاً : انتشار إصلاح وتصحيح الكتب لدى علماء المسلمين :

انتشرت عمليات الإصلاح في الكتب والمؤلفات عند المسلمين حتى حملت بعض الكتب عناوين المصطلح ذاته وذلك للدلالة علي ما تم من عمليات تنقيح وتهذيب وتقويم للمحتوي العلمي نظراً لوجود أخطاء كثيرة بها تدعوا لوجود كتب ومؤلفات جديدة ، ومن ذلك ما ورد في ببليوجرافية " كشف الظنون " من كتب للإصلاح والتصحيح ، وعلق على بعضها ، مثلما ذكر أن كتاب " إصلاح الوقاية في الفروع " للمولي شمس الدين أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ " غَير متن الوقاية وشَرَّحه ، ثم شَرَحه وسماه الإيضاح ، لأنه وجد أن كتاب الوقاية المذكور كان به مواضع سهو وذلل وخبط وخلل ، فأراد تصحيحه وتنقيحه وذلك من خلال الحذف والإثبات والتبديل ".(٢٢)

كما ذكر صاحب تراجم الأطباء " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " كتاباً بعنوان " كتاب إصلاح مقالات يوحنا بن سرابيون لأبي الحسن الحرابي المتوفى سنة ٣٦٥ هـ ، وهو كتيب يحوي معلومات عامة وإرشادات للأطباء .(٢٣) فضلاً عن ما ذكره جمال الدين القفطي المتوفى سنة ٦٢٤ هـ في أخبار الزجاجي أبو القاسم ، عبد الرحمن بن اسحق النحوي المتوفى سنة ٣٤٠هـ عن كتابه " الجُمل " حيث تعرض له البطليوسى وصنف فيه كتاباً سماه " الحُلل ، في إصلاح الخَلل ، الواقع في كتاب الجُمل "(٢٤)

وثمة بعض الكتب وقع أصحابها في أوهام وأغلاط أثناء تأليفها أو أثناء إملائها في مجالس الإملاء ، وذلك من غير تجنى على أصحابها ، بل من خلال سرد الشواهد والأدلة التي تثبت صحة كلامهم وتؤكد صدق ما دونوه ؛ فكُتب الأمالى أيضاً لم تسلم من الإصلاح والتصحيح لما وقع فيها من أخطاء مثلما فعل أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة٤٨٧هـ حيث ألف كتاباً في " التنبيه على أوهام أبى على القالي في أماليه ، وهو كتاب إصلاح لما أتاه أبو على القالي من الأوهام والأخطاء في أماليه ، وأكد على أن " هذا كتاب نبهت فيه على أوهام أبى على – رحمه الله – في أماليه ... تنبيه المصنف لا المتعسف ولا المعاند ، مُحتجاً على جميع ذلك بالشاهد والدليل".(٢٥)

خامساً : ارتباط الإصلاح والتصحيح بالعرض والمعارضة (المقابلة):

المقصود بالعرض هو عرض النسخة أو الكتاب علي نسخة أخرى صحيحة ، وهو ما كان يعني عندهم بالمعارضة ؛ أي معارضة المخطوطة المراد التحقق من صحتها بمخطوطة للمؤلف كتبها بخط يده أو مخطوطات أخرى تمت مراجعتها على المؤلف ، وقد يدفع المؤلف كتابه إلى أحد العلماء والمؤلفين الثقات ليراجعه وينقحه ويصحح الأخطاء الواردة بها قبل أن يُخرجه للناس .

حض علماء المسلمين ذوى الخبرة في التأليف علي ضرورة أن تُعرض الكتب والمؤلفات ليتم تحريرها وإصلاحها وتصحيحها ، وعدم الإهمال في ذلك لأن الكتب عرضة لحدوث الأخطاء بها ، فإذا عُرض الكتاب خرج سليماً وصحيحاً من ناحية الشكل والمحتوى ، أما إذا نُسخ الكتاب ولم يُعارض ، ثم نُسخ ولم يُعارض : خرج أعجمياً [٢٦] ومبهماً من كثرة ما به من أخطاء وخلل ، فيفقد الكثير من قيمته العلمية والفكرية ، ويكون عُرضة للنقد من جانب العلماء والمؤلفين ، مثلما عرض أحدهم كتابه علي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فمحا منه كلمات وعبارات حتى أصلحه تماماً ".[٢٧]

اهتم المؤلفون المسلمون اهتماماً بالغاً بعملية المراجعة المستمرة لكتبهم ومؤلفاتهم ، وثبت عنهم ما يؤكد حرصهم الشديد علي مراجعة كتبهم بأنفسهم أو يطلبون من غيرهم مراجعة ما دونوه في كتبهم وتنقيحه وتحريره حتى يخرج للناس في صورة جيدة ، فقد حذر ابن جماعة المتوفى سنة ٧٣٣هـ من إخراج المؤلفات قبل تهذيبها وتحريرها ومراجعاتها.[٢٨]

وجرت العادة على أن يقوم المؤلف بتحرير وإصلاح كتابه بنفسه بعد الفراغ من تدوينه وتسويده أو حتى بعد نشره وتداوله في أسواق الورقة (النشر) ، بغية الاطمئنان على مدى صحته ودقته وخلوه من الأخطاء والعيوب طالما أُتيحت له الفرصة لذلك ، وقد يدفعه إلى أحد العلماء أو المؤلفين ممن وثق في علمه وخبرته ليُحرره ويصححه ، وقد تطول فترة تحريره أو تقصر وفقاً لعوامل متنوعة ؛ فكتاب " طراز الذهب في أدب الطلب " انتهى من تسويده السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢هـ ، في سنة إحدى وأربعين وخمس مائة ، وفرغ من تحريره محمد بن أبي القاسم الحفصى في سنة ست وأربعين وخمس مائة .[٢٩]، أي أن تحرير هذا الكتاب وتصحيحه استغرق خمس سنوات كاملة ، إذ أنه

يقع في عدة أجزاء – كما ذكر مؤلفه – من ناحية ، وحتى يستوفى شتى شروط الضبط والتصحيح والإتقان من ناحية أخرى .

وقد يرى المؤلف بعد الانتهاء من التأليف ضرورة تزويد كتابه ببعض الإضافات أو يُلخصه أو يُهذبه لخدمة أغراض جديدة لم تكن موجودة عند خروج الإصدارة الأولى من هذا الكتاب ، وربما لا يُضيف إلى كتابه ولا يُغير فيه طالما لم تقتضى الضرورة ذلك .

سادساً : أسباب حدوث الأخطاء في الكتب عند المسلمين :

تعددت أسباب حدوث الأخطاء في الكتب عند المسلمين وفقاً لعدة اعتبارات يأتي في مقدمتها التصحيف والتحريف في الأسماء والألفاظ والمصطلحات-أثناء مجالس الإملاء التي كان تعقد خلال عصور الحضارة الإسلامية ، وكذلك السهو والغفلة أثناء تأليف الكتاب أو تدوينه ونسخه ، إلى جانب تعدد نُسخ الإملاء ، فضلاً عن-حدوث أخطاء علمية وفكرية في معالجة موضوع بعينه ، وفيما يلي بيان هذه الأخطاء بشيء من التفصيل :

١- التصحيف والتحريف في الألفاظ والأسماء :

يؤدي التصحيف والتحريف إلى الوقوع في أخطاء لا تتفق وطبيعة الغرض الذي دونت من أجله مما يترتب عليه الوصول إلى تفسيرات خاطئة ، ولأن التصحيف هو " كتابة الكلمات والألفاظ أو قراءتها على غير صحتها ، لاشتباه في الحروف[٣٠] وأن تحريف الكلام قد يكون بالزيادة فيه أو النقص منه ، وتغيير الحرف أو الكلمة عن معناها [٣١] ، وبسبب التصحيف والتحريف اهتم علماء المسلمين بالضبط والتحقيق شكلاً ولفظاً في كتبهم ومصنفاتهم لأنه غالباً ما يقع نتيجة كثرة النقل والرواية عن الآخرين دون تحرى الصحة والدقة ، وعليه فإن من يضع المَلامة في وقوع التصحيف إلى الاعتماد على الأصول المكتوبة مصيب في ملامته ".[٣٢]

إن المؤلف المبدع قلما يقع في مثل هذه الأخطاء لأنه يُفكر ملياً قبل أن يبدأ بالفعل في تدوين كتابه ، كما أنه يضع كل كلمة أو لفظ في المكان الملائم له ، فضلاً عن أنه يَحذر كل الحذر في أن يختلط الأمر على القارئ في فهم معاني غير مقصودة على الإطلاق ، على اعتبار أن التصحيف في المعنى يُعد أحد أنواع التصحيف ".[٣٣]

وقد تنبه بعض المؤلفين إلى ما يمكن أن يحدث من تصحيف أو تحريف في مواضع بعينها في مؤلفاتهم فأشاروا إلى ذلك ، مثل صاحب " تاريخ جرجان " حيث تناول التصحيف في كلمة " جرجان " ذاتها ومن ينتسب إليها ، ورأى أنه قد يقع التصحيف في الجرجاني ذاتها ، لأنها كلمة بهذه الهيئة والصورة من الممكن أن يُخطأ المرء إذا نظر فيها ويُصَحف القارئ إذا قرأها ، ما لم يتم ضبطها شكلاً ولفظاً ، وحاول أن يُفرق بينها وبين كلمات أخرى على شاكلتها ليَسلَم القارئ من التصحيف ويأمن من الغلط ، ثم ساق الكلمة ضمن سبع كلمات قد يقع فيها التصحيف على النحو التالي : (٣٤)

١- الجرجاني : بجيمين بينهما راء .

٢- الخرخاني : بخاءين بينهما راء .

٣- الخرجاني : بخاء وجيم بينهما راء .

٤- الجرخاني : بجيم وخاء بينهما راء .

٥- الجوخاني : بجيم وخاء بينهما واو .

٦- الخوجاني : بخاء وجيم بينهما واو .

٧- الخوجَّاني : بخاء وجيم مشددة بينهما واو .

وقد أبان المؤلف عن الفروق بين كل كلمة من هذه الكلمات السابقة وشرحها ليسهل على القارئ التمييز بين كل منها ويُزيل اللبس والخلط الذي من الممكن أن يحدث بينهم جميعاً .

ولا يمكن أن ننكر أن بعض المؤلفين المسلمين غفل عن وقوع تصحيف في كتبهم ولم يدركوا ذلك بأنفسهم إلا حينما عرضوا كتبهم وراجعوها على غيرهم من العلماء والمؤلفين ، فقد ذكر ابن النحوي التوزرى المتوفى سنة ٥١٢هـ ، أن حماد بن اسحق بن إبراهيم لما سأله أبو عبيد عن كتاب في الغريب المصنف ، هل عرضت هذا الكتاب على أبيك ؟ فأجاب : نعم ، وقال لي : فيه تصحيف مائتي حرف "(٣٥) ، فمن السهل أن يكتشف الآخرون خطأ المؤلف إذ أنه حينما يدون أفكاره في كتابه أو صحيفته قلما تقع عيناه على خطأ حدث منه ولأجل ذلك قالوا " لا يكتب المؤلف كتابه ويُصدره للناس في يومه ، إلا قال في غده لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زِيد لكان يُستَحسَن "(٣٦) فالخطأ وارد في كل مكان وزمان وهو أمر ملازم لطبيعة البشر سواء كان عالماً أو مؤلفاً أو كاتباً

، وينبغي على المؤلف أن يُراجع كتابه ويعرضه على غيره من العلماء حتى يخرج صحيحاً خالياً من التصحيف والتحريف .

٢- السهو والغفلة أثناء تدوين الكتاب :

حرص كثير من المؤلفين المسلمين على الصدق والدقة في نقل الخبر وتدوينه ، ولم يعتمد المؤلف على الذاكرة والحفظ فقط في سرد النصوص لأنه كان يدرك تماما " أن النصوص إذا وردت من الذاكرة لم تسلم من الخطأ "[٣٧] لذا كان العالم أو المؤلف يتثبت من الخبر ولا يرويه إلا عن الثقات من الرجال ، مثلما ذكر الإمام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ عن كتابه الصحيح أنه ما أثبت فيه أي حديث حتى تأكد وتيقن من صحة هذا الحديث .[٣٨] ومن ثم حظي بعناية كبيرة من جانب علماء المسلمين .

ولم يكن إصلاح وتصحيح الكتب يقتصر على ما يتعلق بالتصحيف والتحريف فحسب ، بل كان يحدث لأسباب ودواعي أخرى كأن يكون مؤلف الكتاب أو كاتبه قد غفل عن ذكر شئ أو حدث له سهو ، ولعل أفضل مثال على ذلك ما أورده صاحب كشف الظنون عن كتاب " إصلاح الوقاية " الذي سبق ذكره ، حيث جاء فيه أن " الوقاية لما كان كتاباً حاوياً لمنتخب كل فريد ، إلا أن فيه نبذاً من مواضع سهو وزلل وخلل أراد تصحيحه وتنقيحه بنوع تغير في أصل التعبير وتكميله ببعض حذف واثبات وتبديل ".[٣٩] ، وعلى هذا النهج سار أبو عبد الله الكرمانى النحوي الوراق المتوفى سنة ٣٢٩هـ ، حيث ذُكر أن له كتاب بعنوان " الجامع في اللغة " أورد فيه مجموعة من المسائل والأمور التي أغفلها الخليل بن احمد الفراهيدى في كتابه " العين ".[٤٠]

ورغم حرص علماء المسلمين على تجنب السهو والغفلة في كتبهم ومؤلفاتهم إلا أن الخطأ وارد الحدوث مع أي مؤلف مهما على شأنه واشتهر ذكره بين العلماء والمؤلفين ، فمن يسلم من السهو والغفلة في تأليف الكتب والمؤلفات [٤١] ، وكان من المستحب عند علماء المسلمين أنه إذا أخطأ المؤلف في أي شيء ثم تبين له خطأه ، فعليه أن يرجع ولا يصر على الخطأ ، إذ أن رجوعه إلى الصواب لا يُعد ذلك خطأ " لأنه قد خرج منه برجوعه عنه ، والخطأ البين الذي يصر على خطأه ولا يرجع عنه ".[٤٢]

٣- كثرة الإملاء وتعدد نُسخ الكتاب :

لقد كان للإملاء دور كبير في حدوث الأخطاء في الكتب خاصة إذا كان الإملاء من الحفظ أو الذاكرة ، فضلاً عن اختلاف الأماكن التي تم فيها الإملاء للكتاب الواحد ،

مما جعل هذه الكتب والمؤلفات عرضة للزيادة والنقصان ووجود الأخطاء ، فقد أملى أبو عمر محمد بن عبد الواحد المتوفى سنة ٣٤٥هـ " كتابه الياقوتة في اللغة ارتجالا من غير كتاب ولا دستور "(٤٣) كما أن كتاب الجمهرة لابن دُريد المتوفى سنة ٣٢١هـ " مختلف النُسخ كثير الزيادة والنقصان ، لأن مؤلفه أملاه بفارس ، وأملاه ببغداد من حفظه ، فلما اختلف الإملاء زاد ونقص ".(٤٤)

إن تعدد النُسخ – غالباً – ما كان يؤدي إلى حدوث أخطاء وتضارب فيما بينها ، خاصة إذا تصورنا مع الجاحظ رحلة النسخة الأولى بعد انتهاء المؤلف من كتابتها وتدوينها " ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة لإنسان آخر فيسير فيه الوراق الثاني سيرة الوراق الأول ؛ ولا يزال الكتاب تتداوله الأيدي الجانية ، والأعراض المفسدة ، حتى يصير غلطاً صرفاً وكذباً مصمتاً "(٤٥) وبالفعل تعرض أحد أهم كتب الجاحظ إلى ذلك الخطأ بسبب تعدد نُسخه وهو كتاب " البيان والتبيين " فهو نسختان أولى وثانية والثانية أصح وأجود " وهذا الحال يشبه تماماً كتاب " الزيج " لأبى عبد الله محمد بن جابر البتّاني المتوفى سنة ٣١٧هـ و هو نسختان أولى وثانية والثانية أجود من الأولى .(٤٦)

إن تفاوت النُسخ من ناسخ إلى آخر ومن مكان إلى آخر ، أدى إلى وجود اضطرابات في بطون الكتب والمؤلفات ، مما دعا إلي اليقظة وسرعة إصلاحها وتصحيحها والاعتماد علي نسخة سليمة وصحيحة ودقيقة خالية من الأخطاء والعيوب ، كما هو بالنسبة لـ " المفضليات " للمفضل الضبيّ ، وهي عبارة عن : أشعار مختارة جمعها للمهدي " في بعض نسخها زيادة ونقص ولكن أصحها التي رواها عنه رجل يدعى أبو عبد الله بن الأعرابي .(٤٧)

٤- الخطأ في المادة العلمية للكتاب :

تختلف الأخطاء في المادة العلمية أو المحتوى العلمي للكتب عن غيرها من الأخطاء السابق ذكرها سواء ما يتعلق بأخطاء النسخ أو التصحيف أو أخطاء السهو والغفلة أو الأخطاء التي تحدث بسبب كثرة الإملاء وخلافه ، حيث تتعلق بالمحتويات التي تشتمل عليها الكتب والمؤلفات ، وقد ورد بالمؤلفات الببليوجرافية كثيرا من الإشارات التي تدل على وجود هذه النوعية من الأخطاء ، كما أن أصحابها غالباً ما يسوقون الأدلة التي تدعم آرائهم ووجهة نظرهم ، ومن ذلك ما ذكره ابن النديم في ببليوجرافيته عن القلم العربي وأول من وضع الخط العربي والكتاب العربي .(٤٨)

وقد يقوم المؤلف بإصلاح وتصحيح الأخطاء التي وردت في كتاب لمؤلف آخر ليس لسبب واحد فقط ولكن لأسباب عديدة ومتنوعة وإن كان التركيز الأول على ما حواه الكتاب من موضوعات ومسائل أخطأ في فهما وطرحها مؤلف الكتاب ، وخير مثال على ذلك أحد كتب التراجم وهو كتاب " صفة الصفوة " حيث ذكر مؤلفه أبو الفرج عبد الرحمن بن الجو زى المتوفى سنة ٥٧٩هـ في مقدمة كتابه أنه أراد به إصلاح وتصحيح الأخطاء التي وردت في أحد كتب التراجم السابقة ، وهو كتاب " حلية الأولياء " لأبى نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ ، وبدأ أبو الفرج الجوزى بذكر سمات ومميزات كتاب الحلية والأمور التي يمكن لطالب العلم أن يتلقاها بالعناية والاهتمام ، ثم ذكر أن كتاب حلية الأولياء قد تكدر بأشياء ، وفاتته أشياء ، وحاول قدر المستطاع أن يصلح ويُصحح هذه الأخطاء من خلال كتابه " صفة الصفوة ".(٤٩)

ويجب أن نضع في الاعتبار أن إصلاح وتصحيح أي خطأ من الأخطاء المتعلقة بالمحتوى العلمي للكتب عند علماء المسلمين كان يتطلب وجود دوافع ومبررات حقيقية ، فلم يُقدِم المؤلف على إصلاح وتصحيح محتوى كتاب بعينه طالما لم تتوافر لديه من الأسباب أو المبررات القوية واللازمة لإجراء ذلك ، وكان عليه أن يُقدم الأدلة والشواهد التي تثبت صدق كلامه وتدلل على صحة وجهة نظره ؛ إذ أن إصلاح وتصحيح المحتوى العلمي للكتب لم يكن غاية في حد ذاته ، بل كان وسيلة لتصحيح أفكار أو معلومات أو أخطاء بعينها وردت في أحد الكتب والمؤلفات من شأنها أن تأثر تأثيراً سلبياً على طبيعة المادة العلمية المتاحة في الكتاب .

سابعاً : طرق إصلاح وتصحيح الكتب عند علماء المسلمين :

إن إصلاح وتصحيح كتاب أحد المؤلفين لم يكن أبداً يُنقص من قدره ، ولن يُضير المؤلف أن يتم إصلاح وتصحيح كتابه طالما دعت الضرورة لذلك ، وكلما خضع كتابه للإصلاح والتصحيح كلما كان الكتاب صحيحاً ودقيقاً ، كما قال الإمام الشافعي " إذا رأيت الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهد له بالصحة "(٥٠) لأنه تعرض للمراجعة والتحرير وإصلاح وتصحيح ما به من أخطاء ، بما يخلق نوعاً من الاطمئنان في تداوله بين الناس .

استعمل علماء المسلمين طرقاً عديدة ومتنوعة في عملية إصلاح وتصحيح الأخطـــاء ، وأشهر ما عُرف في إصلاح وتصحيح الكتاب الإسلامي طريقتين أساسيتين هما :-

الطريقة الأولى : إذا كان الخطأ في الكتاب ذاته (دون زيادة أصلاً) :

وتعنى أنه إذا وقع خطأ في الكتاب بعد مراجعته والتحقق منه كتب عليـــه المُـــصحح كلمة : (كذا) صغيرة ، ولا يكتب في الحاشية (صوابه كـــذا) إلا بعـــد أن يتأكـــد مـــن الصواب والتحقق منه ، أو يكتب (لعله كذا) إن غلب على ظنه أنه كذلك ، أو يكتب على ما أُشكل عليه ولم يظهر له وجه (ضبه) وهى صورة رأس (صاد) مهملة مختـــصرة من (صح) وشكلها هكذا (صـــــ) ، فإن تم التأكد من صحته وتحقق من ذلك ، يقـــوم المُصحح بوصلها بحاء مهملة فتبقى (صـــح) ؛ وإلا كتب الصواب في حاشـــية الكتـــاب ذاته .

قيل : وأشاروا بكتابة الصاد أولاً إلى أن الصحة لم تكتمل وإلى تنبيه الناظر فيه (أي الناسخ) على أنه متثبت في نقله غير غافل فلا يظن أنه غلط فيصلحه .[٥١][٥٢]

الطريقة الثانية : إذا وقع في الكتاب ما ليس منه أصلاً (زيادة) ، وتعنى أنه إذا وقعـــت أي زيادة على أصل الكتاب ذاته ، فإن ذلك يعد خطأ لأنه سيُغير في صورة وشكل الكـــلام الوارد في الكتاب ، ومن ثم ينبغي أن يقوم المُصحح بنفي ذلـــك [٥٣] بـــأن يـــستعمل أي طريقة من الطرق الثلاث الآتية :

أولاً : الكشط :

ويعني إزالة الخطأ باستعمال سكين ونحوه ، وقد عُرف ذلك عند البعض بالحـــك أو البَشر . وكان البعض يكره الحك أو البشر بسكين ، بل إنهم كانوا يـــرون أن " الحـــك تهمة " لأنه قد يحُك أو يبشُر ما كان صحيحاً ولا يحتاج إلى إصلاح أو تصحيح ، فيضطر إلى تدوين ما محاه مرة أخرى وإلحاقه بذات النص .[٥٤]

ثانياً : المحو :

وكان يفضله العلماء عن الكشط ، ويعني إزالة الخطأ ومحو أثـــره باســـتعمال أي مادة كالقماش أو الماء أو خلافه ، مثلما فعل عبد الله ابن عباس حينما جاءه رجل فقـــال إني كتبت كتاباً أريد أن أعرضه عليك فلما عرضه عليه أخذ منه ومحا بالماء "[٥٥] ، وقد

كره بعض علماء المسلمين كلاً من الكشط والمحو لأن كلاهما يُضعف المادة المستعملة للكتابة والتدوين ، ويقلل من متانتها وربما أدى إلى فسادها .

ثالثاً : الضرب على الخطأ :

والضرب على الشيء يعني خلطه ومزجه بشيء آخر ، وقد ذكر العلماء أن الضرب على الخطأ أجود وأفضل من الكشط والمحو ، وأجود الضرب هو مالا يطمسُ المضروب عليه ، بل يخُط من فوقه خطاً دقيقاً بيّناً يدلُ على إبطاله فقط (٥٦) ، ولا يُسود الورق ، ومنهم من رأى أنه من الأفضل أن يضع مكان الخط نُقطاً متتالية ، بحيث يتمكن القارئ من قراءة ما تحت الخط من كلام وألفاظ (٥٧) ، وقد شاع استعمال الضرب على الخطأ لإصلاح وتصحيح الكتب بين علماء المسلمين في شتى الفنون والعلوم السائدة آنذاك ، وكانت كتب الحديث وعلومه أكثر المؤلفات التي انتشر فيها استعمال هذه الطريقة.(٥٨)

عرف علماء المسلمين خمس طرق للضرب استعملوها حينما يكون الخطأ عبارة عن جُمل وعبارات طويلة لا يصلُح معها استعمال الكشط أو الحك أو المحو ، لأنه سيسود الكتاب ويشوهه (٥٩) ، وحرص القائمون على إصلاح وتصحيح الكتب على استعمال هذه الطرق التي كانت شائعة ومعروفة بينهم(٦٠) (٦١) ، والتي أطلق عليها الباحث الأسماء أو المسميات الآتية :-

١- طريقة الوصل .

٢- طريقة الباء المقلوبة .

٣- طريقة الإسقاط .

٤- طريقة القوسين أو نصف الدائرة .

٥- طريقة الدائرة الصغيرة .

ويمكن بيان وتوضيح كل طريقة من الطرق السابقة على النحو التالي :

١- طريقة الوصل :

وتعنى وصل الحروف التي ضرب عليها ثم يخلط بها خطاً ممتداً من أولها إلى آخرها ، وهو ما عُرف في بلاد المغرب العربي بالـــ " شق " وصورته هكذا :

وصلوا إلى المدينة صباحا

٢- طريقة الباء المقلوبة :

وفي هذه الطريقة يقوم المُصلح أو المُصحح بوضع خطاً يُشبه الباء المقلوبة دون أن يضع نقطة فوق الخط ، يتدلى طرفه الأول عند بداية الخطأ والطرف الأخر عن نهاية الخطأ أيضاً وصورته هكذا :

وصلوا إلى المدينة صباحاً

٣- طريقة الإسقاط :

وطريقة الإسقاط تتم باستعمال حروف الجر (من - إلى) ، وذلك بأن يكتب حرف الجر " من " فوق بداية الخطأ وحرف الجر " إلى " فوق نهاية الخطأ ، وهذا يعني : أن هذا الكلام ساقط من هنا إلى هنا ، وصورته هكذا :

من إلى

وصلوا إلى المدينة صباحاً

وبعضهم استعمل حرفي اللام والألف " لا " وحرف الجر " إلى " ومعناه أن الكلام الموجود بينهما لا يَصِحُ من هنا إلى هنا ، وصورته هكذا :

لا إلى

وصلوا إلى المدينة صباحاً

٤- طريقة القوسين أو نصف الدائرة :

وطريقة القوسين أو نصف الدائرة تقوم أساساً على استعمال قوسين صغيرين للدلالة على وجود الخطأ وحصر الخطأ بينهما ، وتعني أن الكلام الموجود بين القوسين جميعه (خطأ جملةً وتفصيلا ، وصورته هكذا :

(وصلوا إلى المدينة صباحاً)

وإذا ضاق المكان لوضع الخطأ بين قوسين يقوم المُصحح بوضعهما في أعلى كل جانب منهما ، وصورته هكذا :

( )

وصلوا إلى المدينة صباحاً

٥- طريقة الدائرة الصغيرة :

تُستخدم طريقة الدائرة الصغيرة للدلالة على أن ما بينهما عارٍ وخالٍ من الصحة تماما ، حيث توضع دائرة صغيرة في أول الخطأ و أخرى في آخره ، وسماه البعض بـ " الصفر " كما يسميها أهل الحساب ، حيث استُعملت للدلالة على خلو موضعها من الصحة ، وصورته هكذا :

○ وصلوا إلى المدينة صباحاً ○

وإذا ضاق المكان لوضع الخطأ بين دائرتين صغيرتين ، وضعهما في أعلى كل جانب ، كما مر في الطريقة السابقة وصورته هكذا :

○ ○

وصلوا إلى المدينة صباحاً

ورغم شيوع الطرق السابقة في إصلاح وتصحيح الأخطاء إلا أن كثير من العلماء والمؤلفين المسلمين قد حذروا من الإفراط في استعمالها ، لأن ذلك قد يؤدى إلى تضييع معالم الكتب في بعض الأحيان .

وإن كان هذا الإصلاح يقتصر على تصحيح ما بداخل الكتب من أخطاء في النسخ والتدوين فإن ثمة أخطاء في المحتوى العلمي والموضوعات التي تشتمل عليها الكتب ، فيكون من الصعب معها استعمال الطرق السابقة وإنما يتم معالجتها من خلال تأليف كتب أو مؤلفات أخرى تُنبه على الخلل والأخطاء الواردة في الكتب السابقة ، وهو ما نعنى به إصلاح وتصحيح المادة العلمية للكتب . ولا يعنى ذلك إصلاح كل المحتوى العلمي للكتاب فذلك شان آخر ، ولكن وجود بعض الأخطاء التي يرى بعض العلماء عدم صحتها أو دقتها ، فيعملون على سرد الأدلة والبراهين للتأكيد على صحة وجهة نظرهم من خلال مؤلفات أخرى .

ثامناً : إصلاح وتصحيح المادة العلمية للكتب :

من الصعب أن يتم إصلاح وتصحيح المادة العلمية للكتب في الكتب ذاتها لو كان كثيراً ، أما لو كان بسيطاً ومحدوداً فيمكن إثبات ذلك في الحواشي والهوامش ، وعليه حرص علماء المسلمين إلى تأليف الكتب التي تعنى بإصلاح وتصحيح المادة العلمية والموضوعات التي أخطأ في تناولها ومعالجتها المؤلفون السابقون ، وقد تخيرت أحد كتب التراجم الذي يكشف بوضوح عن هذا النوع من الإصلاح والتصحيح ، وهو كتاب " صفة الصفوة " لأبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٧٩هـ الذي حاول

أن يُصحح ما جاء في كتاب " حلية الأولياء " لأبي نعيم الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠هـ حيث رأى ابن الجوزى أن يسرد ويُفند الأخطاء والزلل والخلل الذي وقع في كتاب الحلية – من وجهة نظره – وأكد على ذلك في مقدمة كتابه " صفة الصفوة " حين قال : " اعلم أن كتاب الحلية قد حوي من الأحاديث والحكايات جملة حسنة إلا أنه تكدر بأشياء وفاتته أشياء ، فالأشياء التي تكدر بها عشرة : (٦٢)

أولاً : ذكر أسماء ولم يترجم لأصحابها .

ثانياً : ذكر ما لا يليق بالكتاب .

ثالثاً : تكرار الأخبار (التراجم) .

رابعاً : الإطالة فيما يروى من الأحاديث .

خامساً : ذكر أحاديث باطلة وموضوعة .

سادساً : السجع البارد في التراجم .

سابعاً : إضافة التصوف إلى غير الصحابة .

ثامناً : إطالة الكلام فيما لا طائل فيه .

تاسعاً : ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها .

عاشراً : خلطَ في ترتيب تراجم القوم (الصوفية) .

أما الأشياء التي فاتت كتاب الحلية فأهمها ثلاثة أشياء هي :(٦٣)

الأول : أنه لم يذكر سيد الزهاد إمام الكل وقدوة الخلق وهو نبينا صلى الله عليه وسلم .

الثاني : أنه ترك ذكر خلق كثير قد نُقل عنهم التعبد والاجتهاد الكبير .

والثالث : أنه لم يذكر من عوابد النساء إلا عددا قليلا .

وبسبب الأخطاء العلمية التي وقع فيها صاحب " حلية الأولياء " ورغبة ابن الجوزى أن يصلح ويصحح ما استطاع منها ، فصنف كتابه في التراجم " صفة الصفة " حتى يكون مغنياً لطلاب العلم عن كتاب " حلية الأولياء " ويحصل لهم المقصود منه ، ويزيد عنه في تراجم جماعة من الأولياء لم يذكرهم أبى نعيم في كتابه ، وأخبار لم ينقلها ، وجماعة من الأولياء قد وُلدوا بعد وفاة أبى نعيم فترجم لهم ابن الجوزى ، فضلاً عن ترك تراجم جماعة من الأولياء قد ذكرهم أبى نعيم في الحلية وحكايات كثيرة رأى أنه لا يليق أن يضعها في كتابه أثناء تراجمه للأولياء والزهاد .(٦٤)

وبالرغم مما ذكره ابن الجوزى من أسباب عديدة طالت أو قصرت كان محقاً فيها أو غير ذلك ، فان الإصلاح والتصحيح في المؤلفات كانت له مبرراته وأسبابه دائما عند المؤلفين والعلماء المسلمين ولم يكن غاية في حد ذاته سواء كان في الكتاب ذاته أو قام المؤلف بتصنيف كتاباً مستقلاً ومنفرداً بذاته ، يُبين فيه الأخطاء وكيفية إصلاحها وتصحيحها من وجهة نظره ، مدعماً ذلك بالأدلة والبراهين التي تُثبت صدق كلامه وتدعم وجهة نظره في الإصلاح والتصحيح للكتاب الذي تصدى له .

ومن الممكن أن يدرك المؤلف الخطأ الذي وقع فيه أثناء تأليف أحد كتبه فيعدل عنه ويحاول إصلاحه وتصويبه ولكن المشكلة تزداد إذا خرج الكتاب للناس وبه أخطاء دون أن يتم إصلاحه ، وهو أمر شائع خصوصاً عندما يكون المؤلف في بداية حياته ولا خبرة له بأصول وقواعد ومهارات التأليف ، ومن ذلك ما ذكره أحد المؤلفين المسلمين عن كتاب له " إن هذا كتاب كنا عملناه في الشبيبة والحداثة وأعتذر منه ".(٦٥) ، ولم يقف الأمر عند حد الاعتذار عن تأليف كتاب ما سواء كان في الصغر أو الكبر بل وصل الأمر إلى حد الندم على تأليف بعض الكتب لما بها من أخطاء بسبب كثرة الروايات ونقل الأخبار القديمة غير الموثوق في صحتها ودقتها .

وينبغي أن نضع في الاعتبار أن المؤلف أو العالم الذي يرجع عن خطأه كان يحظى بمزيد من الاحترام والتوقير بين جميع العلماء والمؤلفين مثلما حدث مع محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ المتوفى سنة ٣٢٨هـ وكانت له كتب ومصنفات كثيرة في القراءات الشاذة فرجع عنها جميعاً فكان ذلك مما عُد في مناقبه وفضائله .(٦٦)

وعلى أية حال فقد اجتهد علماء المسلمين في إصلاح وتصحيح الكتب والمصنفات ، سواء من الناحية الشكلية أو فيما يتعلق بالمحتوى العلمي والمفاهيم والأفكار ، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً مضنية حتى تخرج مؤلفاتهم ومصنفاتهم صحيحة وسليمة خالية من الأخطاء والأوهام والمفاسد حتى يستفيد منها طلاب العلم والدارسين وغيرهم ، فضلاً عن بناء وإثراء الحركة العلمية والتعليمية والثقافية في شتى بلاد المشرق والمغرب وبلاد الأندلس مما كان له بالغ الأثر في مختلف جوانب الحضارة العربية الإسلامية .

مصادر ومراجع الدراسة :

١ - أحمد شاكر . تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك .- ط٢ .- القاهرة : مكتبة السنة للنشر والتوزيع ،١٩٩٢ .- ١١١ص .

٢- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠هـ - ٢٥٥هـ) الحيوان . تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون .- ط٢ .- القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٦٥ .- ج١ ، ص٧٩ .

٣- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب .- بيروت : دار صادر ، [د . ت] .- مج ٢ ، ص ص ٥١٦ -٥١٧ .

٤- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) . القاموس المحيط / نسخة محققة وعليها تعليقات الشيخ نصر أبو الوفا نصر الهورينى ؛ راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد- القاهرة: دار الحديث ،٢٠٠٨- ص ٩٣٩.

٥ - المعجم الوسيط . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٢ . - ط٢ . - ج١ ، ص٥٢٠ .

٦- المعجم الوجيز / مجمع اللغة العربية .- القاهرة : المجمع ،١٩٩٦. - ص١٤٣ .

٧- المُحبى ، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر . - القاهرة : المطبعة الوطنية ،١٨٦٧. - ج١ ، ص٤ .

٨- أحمد محمد الشامي و سيد حسب الله . المعجم الموسوعي المصطلحات المكتبات والمعلومات . - الرياض : دار المريخ ،١٩٨٨ . - ص٩٦٩ .

٩- ابن النديم ، محمد بن اسحق . الفهرست / تحقيق ونشر شعبان خليفة ، وليد محمد العوزة . - القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ،١٩٩١ .- مج١ ، ص٧٢ .

١٠- روزنتال ؛ فرانز . مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي / ترجمة أنيس أبو فرحة ، وليد عرفات .- بيروت : دار الثقافة ، ١٩٨٣.- ص٣٥ .

١١- ابن كثير ، عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر . مناقب الإمام الشافعي / حققه وخرج نصوصه وعلق عليه خليل إبراهيم ملا خاطر .- ط١ .- الرياض : مكتبة الإمام الشافعي ، ١٩٩٢. - ص ١٧٧ .

(*) سورة النساء ؛ آية رقم (٨٢).

١٢- الجرجاني ، أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي . تاريخ جرجان . - ط ٤ . - بيروت : دار المنهل ، ١٩٨٧. - المقدمة ، ص٤٤ .

١٣- المسعودي ، أبو الحسن على بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ . - القاهرة : [د . ن] ، ١٩٨٤ . - ج ١ ، ص ص ٧- ٨ .

١٤ - مطاع الطرابيشى . إصلاح بعض الغلط في النسخة المطبوعة من التاريخ الكبير للبخاري .- في : عالم الكتب .- الرياض : دار ثقيف للنشر والتأليف ، ١٩٨٣ .- مج ٤، ع ٣ .- ص٣٦٩ .

١٥- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠هـ- ٢٥٥هـ) الحيوان .- مرجع سابق . - ج١ ، ص٧٩ .

١٦- ياقوت الرومي ، شهاب الدين أبى عبد الله . معجم البلدان . - لبنان : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠ . - ج ١، ص ٢.

١٧- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الرسل والملوك / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠ . - ج١ ، ص٨ .

١٨- روزنتال ، فرانز . مرجع سابق .- ص١٧٣ .

١٩- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢- ٨٠٨هـ) مقدمة ابن خلدون / حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله محمد الدرويش .- ط١ .- دمشق ، دار يعرب ، ٢٠٠٤ .- ج٢ ، ص ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

٢٠- حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . - بيروت : مكتبة المثنى ، [د - ت] . - ج١، المقدمة ص٣٥ .

٢١- روزنتال ، فرانز . - مرجع سابق . - ص١٧٤ .

٢٢- حاجى خليفة . مرجع سابق . - مج١ ، ص ص ١٠٨ -١٠٩ .

٢٣- ابن أبى أصيبعه ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة يونس السعدي الخزرجى . عيون الأنباء في طبقات الأطباء / شرح وتحقيق نزار رضا .- بيروت : دار مكتبة الحياة ، [د . ت] . - ص٣١١ .

٢٤- القفطي ، جمال الدين أبى حسن على بن يوسف ، أنباه الرواة على أنباه النحاة / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط١ .- القاهرة : دار الفكر العربي ؛ بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٨٦ .- ج ٢ ، ص١٦٠ .

٢٥- البكري ، أبى عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) . كتاب التنبيه على أوهام أبى على في أماليه / راجعه محمد عبد الجواد الأصمعي . - القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦ . - ص ١٥.

٢٦- ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (٦٤٣هـ) . التقييد والإيضاح : شرح مقدمة ابن الصلاح / شرحه زين الدين عبد الرحيم بن الحسين .- ط١ : حلب : المطبعة العلمية ، ١٩٣١.- ص١٧٦ .

٢٧- العلموى ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت٩٨١هـ) . المعيد في أدب المفيد والمستفيد .- ط١ .- دمشق : المطبعة العربية ، ١٩٢٨ .- ص ١٣٥ .

٢٨- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (٦٣٩- ٧٣٣هـ) . تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم / اعتنى به محمد بن مهدي العجمي .- ط٣ مزيدة ومنقحة .- القاهرة : بيروت : درا البشاير الإسلامية : ٢٠١٢.- ص ١٣٢ .

٢٩- السمعانى ، عبد الكريم بن محمد . أدب الإملاء و الاستملاء .- ط١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨١.- ص١٨٠ .

٣٠- المعجم الوجيز .- مرجع سابق .- ص٣٦٠ .

٣١- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . مرجع سابق .- مج ٩ ، ص٤٣ .

٣٢- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (٦٣٩- ٧٣٣هـ) . المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي / تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان .- ط٢ .- القاهرة : دار الفكر ، ١٩٨٦ .- ص ٩٢ .

٣٣- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين (٣٩٢- ٤٦٣هـ) . المزهر في علوم اللغة وأنواعها / شرحه وحققه محمد أحمد جاد المولى بك ، على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط٣.- القاهرة : دار التراث ، [د . ت] . - ج٢ ، ص٣٨١ .

٣٤- الجرجاني ، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم . تاريخ جرحان . - ط ٤ . - بيروت : دار المنار ، ١٩٨٧. - ص ص٥٠٧ - ٥٠٨ .

٣٥- ابن النديم ، محمد بن اسحق مج١ ، ص١٢١ .

٣٦- نفس المرجع السابق .- مج١ ، المقدمة

٣٧- روزنتال ، فرانز . مرجع سابق .- ص٢٥ .

٣٨- العسقلاني ، الفضل شهاب الدين أحمد بن على ابن حجر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري .- ط١ .- القاهرة : المطبعة الخيرية ، ١٨٨٩. - مج١ ، ص١.

٣٩- حاجى خليفة . مرجع سابق . - مج١ ، ص١٠٩

٤٠- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي . معجم الأدباء ، أو ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأريب .- ط١ . - لبنان : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣. - مج ٦ ، ص٢٥٤٨ . أنظر أيضاً : خير الدين الزركلى . الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .- ط١٥.- بيروت : دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢ .- ج٦ ، ص ٢٢٤ .

٤١- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين (٣٩٢- ٤٦٣هـ) . المزهر في علوم اللغة وأنواعها .- مرجع سابق .- مج٢ ، ص٣٥٣ .

٤٢- نفس المرجع السابق . - ج٢ ، ص٣٢٠ .

٤٣- ابن النديم ، محمد بن اسحق . مرجع سابق . - مج١ ، ص١٢٩.

٤٤- نفس المرجع السابق .- مج١ ، ص١٠٢.

٤٥- الجاحظ ، أبو عثمان عمر و بن بحر . مرجع سابق .- ج١ ، ص٧٩.

٤٦- ابن النديم ؛ محمد بن اسحق . مرجع سابق - مج١ ، ص٣٣٨ ، ص٥٦٢ .

٤٧- الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي . مرجع سابق .- مج ٥ ، ص١٧٣ .

٤٨- ابن النديم ، محمد بن اسحق . مرجع سابق .- مج١ ، ص ص١١- ١٢ .

٤٩- ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن . صفة الصفوة / حققه وعلق عليه محمود فاخوري ؛ خرج أحاديثه محمد راوي قلعجى .- ط٣ .- لبنان : دار المعرفة ، ١٩٨٥ .- ج١ ، ص ص٢٠ -٢١ .

٥٠- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين (٣٩٢- ٤٦٣هـ) . الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع / تحقيق محمد عجاج الخطيب .- ط٣ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٦ .- مج١، ص ٤٣٥.

٥١- العلموى، عبد الباسط بن موسى بن محمد(ت٩٨١ه)- مرجع سابق- ص ١٣٦.

٥٢- شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات في العصور الوسطى : الشرق المسلم – الشرق الأقصى .- ط٢ .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠١ . - ص ص ١٧٩- ١٨٠.